المحور الثالث : استراتجية قراءة الأدب الرقمي ' الجانب التطبيقي "

عنوان المداخلة :

استراتجية التفاعل في الأدب الرقمي " من القراءة إلى الانتاج "

(نصوص محمد سناجلة انموذجا)

الدكتور / عبد الرزاق بن دحمان

استاذ محا ضر "أ"

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة محمد خيضر ـ بسكرة –

الملخص /

شكّل الإتصال المعرفي مدارا مركزيا في حياة المجتمع المعاصر ،فلم تعد القيمة الفكرية والعلمية مرتبطة بفئة أو جماعة معينة ، بل تجاوزت نطاق الفردية لتغدو نسيجا علميا مركبا تشترك فيه الجماعات البشرية كلها ، وعليه كان التفاعل في مجال الدراسات الأدبية

هو ما يميز الأدب الرقمي كونه اشتغالا حيويا يتم من خلاله ربط النص الإبداعي بمختلف

الاستراتجيات التي ترسم أبعاد المشاركة بين الكاتب والقارئ ومختلف التقنيات العلمية .

تسعى هذه الدراسة المتواضعة إلى رصد طرائق التواصل والتفاعل قي عملية انتاج الأدب التفاعلي ،وهذا من خلال مجموعة مواصفات جمالية وفكرية تحدد في بعدها كسر قطبية الكاتب وتجاوز مفهوم القراءة الأكاديمية المعهودة ،وترحيل معنى الكتابة إلى عوالم شبكية جد معقدة ،ومن هذا الفهم تحاول هذه الدراسة الوقوف عند بعض النصوص الأدبية الرقمية وتتبع مسارها التواصلي ،وإظهار فاعلية القراءة واستراتجية التكّون والإشتغال

ولتحقيق هذا المبتغى استحضرنا بعضا من النصوص الأدبية الرقمية كنصوص الكاتب " محمد سناجلة " لتكون ميدانا نقديا لدراسة أليات القراءة والإنتشار وكيفية صناعة المخيال الجماعي ،ومن وراء هذه النصوص نحاول كذلك – وقدر الإمكان – البحث عن أدبية الأدب التفاعلي " والكيفية التي تتناغم فيها الكتابة الورقية مع الكتابة الرقمية .

إشكالية المصطلح : إن سلطة التكنولوجيا طرحت مسألة التخييل على مستوى الإبداع ،فالرغبة في الكتابة نقلت صفة المبدع من ثنائية الكاتب م القارئ الى مستوى اخر تشترك فيه معالم اخرى ، فالتفاعل مع القرئ والذي هو شريك جوهري في العملية الابداعية احدث نقلة معرفية على مستوى الافكار والمعارف

الإنسانية ، ومن ثم كانت وسائل الاتصال المتطورة من ابرز العوامل التي غيرت مجرى الكتابة الأدبية فانتقلت من حيز الورق إلى حيز الاشتغال التكنولوجي

تعرف (فاطمة لبريكي) الأدب الرقمي " انه الأدب الذي يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة في تقديم جنس أدبي جديد يجمع بين الأدبية والرقمية ولا يمكن أن يتأتى لمتلقيه إلا عن طريق الوسيط الالكتروني اي من خلال الشاشة الزرقاء ولا يمكن لهذا الادب أن يكون تفاعليا إلا إذا انخرط المتلقي في مساحة تعادل أو تساوي مساحة المبدع الأصلي " 1، إن الأدب الرقمي يشكل حالة استمرارية لمسارات الأدب وتطويرا له وبالتالي يصعب إدراكه في غياب تحديد الوعي بنظرية الأدب من جهة وهنا لابد من الإشارة إلى شرط معرفي ساهم في مراحل معينة في دعم الفكر الأدبي وجعله علميا من أجل الوعي بسؤال الأدب ، ويشير الأستاذ (سعيد يقطين) الى أهمية المعرفة التواصلية في تحديد ماهية هذا الأدب

"الإبداع الرقمي هو مجموع الإبداعات التي تولدت مع توظيف الحاسوب والذي لم يكن موجودا من قبل ولكنها اتخذت من الحاسوب صورا جديدة من النتاج والتلقي ،والحاسوب ليس فقط آداة فهو شكل ولغة وفضاء ,وعالم بمعنى آخر وفضاء إنتاج وعلاقات إنتاجية وكل هذه الابعاد والدلالات تتحقق من خلال النص المترابط باعتباره هو أيضا أداة لإنتاج وعلامة متميزة جوهرها ك الصورة واللغة والصوت والى غير ذلك من وسائل التواصل ،ويشير الباحث (جميل حمداوي) في كتابه " الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق " إلى أنه عن طريق تنشيط الروابط التي يتصل بعضها ببعض يمكن بوسائط مرئية ان ننتقل من معلومة الى أخرى " 2" /، وعليه يمكن الحديث عن فكرة االتواصلية والنتاج الفني على انه حدث تواصلي يلزم لكونه نصا تتوفر فيه نسقية ترابطية تحتكم للانسجام و الاتساق والقصدية والإبلاغ والقبول .

ينخرط المبدع معرفيا مع القارئ فعن طريق الوسيط الرقمي يسمح التحكم في الكتابة الرقمية ،فالقارئ يعيش حرية مفتوحة على خيارات فتواصله مع النص وبتغييره لطريقة القراءة النصية تسمح له بالتفاعل مع المبدع ، وعليه وبهذا فالادب الرقمي لون إبداعي لا يغادر الحاسوب كتابة وقراءة وبذلك فهو يمتاز عن الأدب المرقم و الذي يمكن قراءته بخاصيته المتميزة ، ولقد بدأت تجارب الأدب الرقمي الأولى في بداية الخمسينيات من القرن الماضي ومستهل الستينيات من هذا القرن وهذا في ألمانيا وانجلترا .

أول نص تفاعلي يعود إلى الكاتب الأمريكي الروائي " مايكل جويس " وهذا في روايته (الظهيرة) باللغة بالانجليزية ،أما الشعر التفاعلي فرائده هو(كندل روبارت) .

ولقد اشتراك النص الورقي والالكتروني في هذه الخاصية ، فالصيغةالثقافية التي تميز النص المتفرع تتوفر على بعض الإعمال الورقية التي تتيح للقارئ مسارات متعددة ،" ففي هذا العصر الرقمي الذي استطاع ان يعيد تأملية وتنظيم العملية الابداعية ويجعل من عملية الإنتاج نصا رقميا وعملية توليفيةابداعية ، وهذا هو الرابط بين الترابط والتفاعل النصي فالتفاعل الذي تأتى مع الحاسوب وامكانته الجديدة فدفع المتلقي لقراءة العمل الابداعي بآليات جديدة وهو الذي فتح للمبدع عالما جماليا جديدا يستنفع به في تشكيل حلمه الإبداعي وهذا بدمج فنيات وتقنيات مختلفة كل هذا الذي سميناه بالترابط النصي الذي استدعى الصوت والصورة وغيرهما من الملفات المتوفرة ،" وعليه نحصل على عمل أدبي مفتوح النهاية لا حدود له أو ملكية جماعية يتبادل فيها الطرفان العملية الابداعية بين المبدع والمتلقي فالمبدع بمجرد أن يفرغ من عمله يصبح متلق له والمتلقي بمجرد أن يستقبل العمل الابداعي تصبح له الأحقية في تغييرما يشاء وتعديل ما يشاء من افكار وتصورات ،يقول المبدع " محمد سناجلة " في هذا الصدد : " إننا أمام لغة كتابية جديدة وبلاغة جديدة وأدب جديد لعالم جديد مختلف ...نحن أمام بلاغة رقمية جديدة ومختلفة وهذا الأدب اطلقت عليه اسم (الواقعية الرقمية) يعتمد أكثر على الصوت والصورة والحركة والمؤثرات " ميلتي ميديا " من جرافيك ، وانيما سيو " وبرمجة بل إن هناك مشاهد ومقاطع كاملة في رواياتي وقصائدي لم

استخدم فيها كلمة واحدة حيث كانت اللغة المستخدمة هي بلغة حركية تفاعلية بالكامل " .

يقول المبدع والباحث " معين مشتاق " : " على المبدع ان يحيا عصره ليستطيع أن يتناغم وافق انتظار المتلقي الذي يجايله ،ومن الطبيعي أن يعيش ذلك التناغم الذي بقي المبدع يتنفس هواء عصور غير عصره فالحياة هي ما " آن " وما سيكون لا ما كان لذا واكبت تجربتي الرفض من بعض المتلقين فضلا عن المتلقي الذين يتحكمون في تلقي الرسائل الابداعية او غيرها ...لكن التفاعلية تؤمن بالآخر شريكا لا جحيما لانها تسعى إلى صناعة توازن نفسي بين افراد المجتمع الكوني سعيا للتعايش بانفعال ايجابي ..." ومن هذا التصور يقترح بعض النقاد والمشتغلين في ميدان هذا النمط من الكتابة الإبداعية بديلا لمفهوم الحرف وهو الجملة التفاعلية التي تقوم بدور الوسيط بين المستوى البصري والمستوى السمعي والمستوى التوليفي ،النص التفاعلي تنتجه اللغات المتعددة وهي لغة البرامج المعلوماتية ، فالترابطية تمنح القارئ تحولا جذريا في في ذاته فهي تسمح بانخراط في لعبة القراءة حتى يتمكن من انتاج وعي جديد وحديث يمكنه من الانسجام و التناغم ،وعليه فقد حققت الممارسة العربية في مجال الابداع الرقمي تراكما لا بأس به مقارنة بالسنوات الناضية فهناك مثلا " رباعية الرائد " في الابداع الرقمي محمد سناجلة حيث تميز في (ظلال الواحد) سنة 2001 و" شات " 2005 وصقيع " 2006" التاريخ السري لكموش " 2016 إضافة الى ظهور القصائد الرقمية في مجال الشعر على الشبكة الرقمية بمنتدى مجلة " ميدوزا "مع الشاعر "منعم الأزرق " وكذا مع الشاعر " مشتاق عباس " في قصيدته " تباريح رقمية بعضه ازرق" 2007 وتمزقات عشق رقمي لأدريس عبد النور إضافة الى العمل السردي " حفنات الجمر " للقاص " اسماعيل البويحياوي " ،يقول الأستاذ سعيد وُيقطين : " انه لايختلف ابداعا وتلقيا الا من خلال الحاسوب الذي تحقق نتيجة التطور الحاصل على مستوى تكنولوجيا الالعلام والاتصال وقدأطلق عليه مصطلح الأدب الجديد ،وهذا الرأي يطابق ما ذهبت إليه الباحثة " فاطمة تريكي " في تعريفها للأدب التفاعلي الرقمي إذ يقدم الأدب في رأيها نصا تفاعليا مفتوحا

بلا حدود إذيمكن أن ينشئ المبدع أيا كان نوعا إبداعيا ويلقي به في أحد المواقع ويترك القراء والمستخدمين من حرية إكمال النص كما يشاؤون ،فالحاسوب يسمح

للكاتب أن يستفيد من عنصر القراءة بالإضافة الى النسخ والطبع هناك الصورة والرسم والحوار الصوتي والتعليق لى القراء وغيرها فكل هذه العناصر تشارك في صناعة النص لصوتي والرقمي ،ولنا في الادب العربي نماذج كثيرة كالرواية المتخيلة الجماعية وهي أهم ما ظهر من مدونات كرواية : على قد لحافك " على يد ثلاثة كتاب مصريين على موقع التواصل الاجتماعي الفبيبوك مثل رواية " رواية تكملها انت " لأحمد خالد توفيق " وهذا بمشاركة عدد من الكتاب المشاركين في عملية السرد الجماعي

انتاج المعنى وعنصر التفاعلية :

النص الرقمي هو نص تشعبي واسع الدلالة والانتشار على مستوى المشاركة الجماعية بواسطة تلك التقنيات المعلوماتية الجديدة ،ان النمط الذي ارتبط بهذا المفهوم هو النص التفاعلي التشعبي التخييلي الذي لم يكن جديدا على مجال الأدب

تتمحور عملية الإنتاج في الأدب الرقمي اوالتفاعلي من خلال :

- أثر هذا الجنس من الكتابة في الشكل الادبي .
- دور عملية التلقي في تجسيد هذا الأدب .

وإن كان القارئ التقليدي لا يرى الورقة كاملة بعينه أثناء القراءة ويدرك شكلها ومساحتها باحساس فإن القارئ الرقمي يختلف عنه في انه لا يدرك شكل الصفحة إلا باستخدام الوسائط " الميلتيميديا " من صورة وصوت ومقاطع فيديو وتركيبات معقدة من عدة وسائط في مكان واحد ، وعليه فالتفاعلية هي التي تمكن القارئ من الإندماج الكلي مع معطيات النص الرقمي ،إذيتحكم في النص الرقمي دور الكلمة في تحديد القيم الدلالاية للنص فالكلمة تبدأفي التصعيد بواسطة تطور خطي، إن حرية الكاتب في توزيع النص على الصفحة والإمكانات الكبيرة في تنويع الألوان والأحجام أعطته قدرة غير محدودة في بناء علامات مبتكرة لا متناهية لبناء بيئته الجمالية فالبساطة والتدرج في ملئ الفراغات والمسافات هو ما يمنح القدرة على مواصلة التطوير الأسلوبي في توليد الإنتاجية الأدبية المشتركة بين العناصر الزمانية والمكانية فبحضور المبدع والمتلقي يتحول فضاء الكتابة الرقمية إلى مساحات واسعة من الإنتشار والتوسع المبرمج من خلال نشر فاعلية الموهبة والهواجس المتاحى لدى كل من المبدع ومختلف القراء ن وعليه فإن الكتابة

الرقمية تتحول إلى بساطة فكرية تجمع أكبر قدر ممكن من الكتاب والمبدعين ، وعلى حدّ تعبير "الاديب الفرنسي " ستندال " الذي يقول " وحدها العقول الكبيرة هي التي تكتب بأسلوب بسيط " فالبساطة والتدرج في ملئ الفراغات والمسافات هو ما يمنح القدرة على مواصلة التطوير الأسلوبي في توليد الإنتاجية الأدبية المشتركة بين العناصر الزمانية والمكانية فبحضور المبدع والمتلقي يتحول فضاء الكتابة الرقمية غلى مساحات واسعة من الانتشار والتوسع المبرمج من خلال نشر فاعلية الموهبة والهواجس المتاحى لدى كل من المبدع ومختلف القراء وعليه فإن الكتابة الرقمية تتحول إلى بساطة فكرية تجمع أكبر قدر ممكن من الكتاب والمبدعين ، وعلى تعبيرالاديب الفرنسي " ستندال " الذي يقول " وحدها العقول الكبير ةهي التي تكتب باسلوب بسيط "

ـ خصائص التفاعلية :

1/ الإنفتاح : النص الرقمي نص غير مكتمل وغير مفتوح

2/ القراءة الأفقية : الكتابة الرقمية لا تقرأ قراءة خطية عمودية وإنما يقرا قراءة افقية لا تخضع لوتيرة معينة نظرا لتعدد مساراته وتنوع بداياته ونهاياته ،إذ يمكن للقارئ أن يختار البداية التي يشاء وخاصة في النص السردي الروائي

3/ التفاعل : ويتمثل في توسيع دائرة الكتابة بين الكاتب والقارئ

4/ التابين والإختلاف :إن الإختلاف في سير الأحداث من قارئ إلى آخر هو الذي يمنح الكتابة الرقمية بعدها المتميز ،حيث إن كل قارئ يسير في اتجاه مختلف عن الآخر وهذا ما يؤدي إلى اختلاف النهايات ولهذا اشترط الباحث المغربي " سعيد يقطين شرطين لتحقيق الرقمية والتفاعلية في هذا النوع من النصوص :

1 ـامتلاك المعرفة المعلوماتية كالنسخ والتجريب والحفظ

2ـ معرفة كيفية لنتاج النص المترابط وهي عملية ضرورية في عملية القراءة فلابد أن يعرف المتلقي انه أمام نص متفرع وذلك عن طريق تنشيط الروابط من شذرات نصية الى آخرى .

ولقد آدت مثل هذه النصوص إلى تحولات ليس في طبيعة النصوص فحسب ولكن في العلاقة التقليدية بين أطراف عملية الاتصال الأدبي و رغم ما أتاحته الكتابة من تجاوز لأشكال المعرفة على اعتبار أن الأبجدية هي أول نظام عالمي تواصلي فكل هذا خلق وعيا جديدا في فضاء الكتابة الرقمية ،فلم يعد النص الرقمي امتثالا لرؤية فردية بل أصبح عملا جماعيا أساسه الدمج الكلي في انجاز العمل النصي في صورة كلية لهل خصوصية الشمولية ،فمثلا التفاعل في ميدان الشعر الرقمي فيستمد تواصله من عنصر العلامات اللغوية وإبراز الوجه المحسوس للعلامات اللغوية في الابداع الشعري مما يجعل الشعر الرقمي يمتثل للمشاهدة أكثر من القراءة ،واليوم فقد تغير الموقف والحالة الفكرية للكتابة فأصبح الشعر الرقمي يعرف كيف يستغل كل إمكانات العرض والتحريك باستعمال الحاسوب ولهذا تولدت عنه انواعا جديدة واشكالا غير معهودة مثل الشعر الشبكي والفن التشكيلي ، والشعر الالكتروني ، وشعر الواب ، وشعر البريد ، والشعر التشعبي ..... فكل هذه الأشكال والأنواع ولادتها خصوصية التوسع الشبكي الذي مارسه العديد من مستعملي الشبكة العنكبوتية .

إن النمط الذي ارتبط بهذا المفهوم هو النص التفاعلي التشعبي التخييلي الذي لم يكن حديثا إلا في مجال النسيج الذي تؤسسه الطاقة اللغوية بمفهومها البنيوي وهذا حين تلتقي مع تيار الوعي البنيوي الذي يعتبر النص قائما على فكرة الترابط والتبادل ،أي ان الفكرة عبارة عن نسق من التبادلات بمعنى انه شبكة ليس فيها نواة مركزية ولكن فيها العديد من المجموعات المتفاعلة فيما بينها وهذا ما يتوافق مع الرؤية النقدية التي قال بها " رولان بارت " في مصنفه" وفي هذا الصدد فالقراءة هي تشبيك النص بطريقة تركيبية تتوزع فيها الكلمات بطريقة نسجية تتولد فيها الكلمة فتأخذ دلالتها المحددة بواسطة التأليف الذي يمنح الجمل تدفقا وتوسعا مذهلا للكلمات من حيث المعنى والصورة ،وهذا ما تمثله الأديب الانجليزي في مقولته حول الكتابة الرقمية " ستيواث ملثروب " (ربما نعيش غارقين في الوسائط التشعبية وما بعد الحداثة في عالم يشبه على نحو مريب حديقة الممرات المتشعبة.....) ،

أشكال النص الرقمي :

للنص الرقمي أشكال ومظاهر عديدة تختلف باختلاف التصورات والثقافات

وأراء المبدعين والكتاب الذين يمارسون لعبة الكتابة الرقمية ،ولكل نص أبعاده الفكرية والجمالية التي تمنحه التواصل والديمومة الزمانية والتشعب المستمر بين الأجناس والجمهور ،ولكن السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هل كل هذه النصوص الرقمية تستحق بأن تصنف في خانة الأدب بمفهومه الأكاديمي والجامعي ، وحتى المفهوم الجمالي للأدب فسؤال كهذا يجعلنا نبحث باستمرار وبشكل ملح عن مدى مصداقية هذا الأدب وقدرته على تمثيل الشريحة الاجتماعية التي تمارس الكتابة الرقمية .

1/ الشكل التوريقي : يتم هذا النوع من الكتابة على شكل كتابة الصفحة في الكتاب المطبوع ولا يتم في فلب الصفحة وهذه الكتابة عبارة عن مثلثات يلتز م فيها الكاتب بالتدرج عبر الصفحات .

2/ النوع النجمي : يبرز هذه النمط من الكتابة في شكل كتابة على شكل نجوم والتي فيها تتحددالقيمة الدلالية للنص ويكون في شكل دائري تحيط به النجوم

3/الشكل الشجري / يقدم هذا الشكل في هيئة خطاطات شجرية ترابطية ينتقل فيها القارئ بصيغة ترابطية منتظمة .

الرواية الرقمية :تعتمد الرواية الرقمية على حيوية الكلمة والتي تصاحبها مشاهد عامة تخضع لنظام التطور المعرفي للشبكة العنكبوتية كالصورة والمشهد السينمائي والحركة والضور وفي الرواية الرقمية يجب ان تكون الجمل قصيرة والكلمات معبرة تؤدي وظيفة تخييلية اوواقعية وعليه فإن هذا النوع من الكتابة له حساسية خاصة في التعامل مع النظام العام لسير الرواية الرقمية وقد أحصى الكتاب والمفكرون عدة أشكال وانواع للرواية من بينها نذكر :

رواية الكليب / رواية الويكي / الرواية الترابطي

رواية صقيع : يقول الكاتب محمد سناجلة :انه لا يمكن تصنيف هذه العمل الروائي ففيها الرواية وفيها الشعر وفيها المسرح وفيها السينماء والصورة وغير ذلك من مشاهد تواصلية ذات علاقة وطيدة مع الحركة التواصلية

تفتتح رواية " صقيع على مشهد درامي سينمائي ليلة شتوية شديدة البرودة فيها تساقط للثلوج والأمطار، تصور الكميرا رجلا عجوزا يجلس وحيدا يحتسي الخمر

ومن خلال توظيف تقنية " الهابرنكست " ينتقل العمل إلى القصة الشعرية ثم تعلو الموسيقى ثم نسمع صوت غنائي إنه صوت وردة الجزائرية باغنية " محتاجلك"

ومن خلال رابط ثاني يدخل العمل في قصيدة ثانية ثم تدخل موسيقى آخري بصوت " محمد عبده " مابقالي قلب " ،فالكاتب يكتب بالصورة والمشهد فالكلمات تتجاوز المبدع ، وفي الحقيقة أن الجملة في صقيع هي بنية مشهدية ترسم صورا متحركة في ذهن القارئ ففعل الكتابة يتحول إلى مشهد وهذا ما يناسب لغة العصر وخصائصه الفكرية والجمالية

خلاصة عامة:

الأدب الرقمي أدب متداخل الرؤى والأفكار ، لا يمكن تحديد هويته المعرفية كونه أدبا مبني على أساس التفاعل الجماهيري ،هذا التفاعل الذي لا يحتكم إلى مبررات

جمالية ولا فكرية ،وعليه لم يجد هذا النوع من الكتابة مكانته الفنية وسط الجمهور من الذين يمتلكون موهبة الكتابة والقراءة الأدبية ،وعليه يمكن القول إن هذا النوع من الكتابة يتطلب حقبة زمنية طويلة تمكّنه بأن يصبح أدبا فعليا

مـــــــــــــــــــــراجع الدراسة

ـ فاطمة البريكي : مدخل إلى الأدب التفاعلي ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،ط1 2006

ـ محمدالمريني : النص الرقمي و دلالات النقل المعرفي ،دار الثقافة والإعلام الشارقة 2005

ـ عمر الزرقاوي مدخل إلى الأدب التفاعلي الارقة العدد ،26 2010

ـ زهورإكرام : الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهمية ط1 2009ص 9

ـ سعيد يقطين من النص الى النص االمترابط مخل إلى الأدب التفاعلي المركز الثقافي العربي ط2 2005

ـ شات : رواية الواقعية الرقمية موقع اتحاد كتاب العرب على الرابط

ـ مرح البقاعي : القصيدة الرقمية ، الفن هو تكنولوجيا الروح منتدى ميدوزا نيسان ابريل 2004 ص66

ـجميل حمداوي : الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق : ط1 2016

-